

مطبوعات المجمع

آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال

(٢٢)

تحفة المودود بأحكام المولود

تأليف

الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١)

تحقيق

عثمان بن جمعة ضميرية

وفق المنهج المعتمد من الشيخ العلامة

بكر بن عبد الله أبو زيد

(رحمه الله تعالى)

تمويل

مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية

دار عالم الفوائد

للنشر والتوزيع

راجع هذا الجزء

خلدون بن محمد الأحدب

محمد أجمل الإصلاحي

سليمان بن عبد الله العمير



مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية
SULAIMAN BIN ABDUL AZIZ AL RAJHI CHARITABLE FOUNDATION

الطبعة الاولى ١٤٣١هـ



دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع
مكة المكرمة ـ هاتف ٥٤٧٣١٦٦ - ٥٣٥٣٥٩٠ فاكس ٥٤٥٧٦٠٦

الصف والإخراج دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع

آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال
(٢٢)





تحفة المودود بأحكام المولود

تأليف

الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية
(٦٩١ - ٧٥١)

تحقيق

عثمان بن جمعة ضميرية

وفق المنهج المعتمد من الشيخ العلامة

بكر بن عبد الله أبو زيد
(رحمه الله تعالى)

تمويل

مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية



دار عالم الفوائد
للنشر والتوزيع

مقدمة التحقيق

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وبعـد:

(١)

فقد اهتمَّ علماء الأمة الإسلامية بالتأليف والتصنيف في كل الفنون والعلوم الدينية والأدبية والتاريخية والتربوية والتطبيقية وغيرها، وكان علم الفقه من أول العلوم التي أولاها العلماء عنايتهم في كل العصور، وتنوَّعت مناهجهم وطرائقهم في ذلك؛ فهناك كتب شاملة لأبواب الفقه كلِّها، من العبادات و المعاملات والمناكحات والعقوبات وغيرها، وهناك كتب في علم أصول الفقه، وفي القواعد الفقهية والأشباه والنظائر، وفي علم الخلاف. وهذه كلُّها تتناول موضوعات و أبوابًا تتصف بالشمول للأحكام العملية في جوانب الحياة كلها.

ومن العلماء من أفرد بعض الأبواب والمسائل الفقهية بالتصنيف والتأليف ابتداءً، أو تلبية لحاجة طارئة، أو إجابة على سؤال أو استفتاء، فنشأت كتب الفتاوى والرسائل والكتب المفردة في باب معيّن من أبواب الفقه أو في مسألة من مسائله، يتناولها المصنّف بالدراسة الواسعة، فيحدِّد موضوع بحثه، ويبيِّن منهجه، وسبب تأليفه أو كتابته، ويرسم خطَّته التي تنطوي ـ أحيانًا ـ على أبواب وفصول و مباحث أو

فروع و مسائل و تنبيهات. وقد تكون هذه الدراسة ضمن مذهب فقهي أو مدرسة فقهية معينة[1].

وقد تتسع دائرة البحث في الدراسة للمسألة أو الموضوع ، فيتناولها المؤلف في المذاهب الفقهية المشهورة وغيرها من مذاهب السلف ــ رحمهم الله جميعًا ــ. وأثناء ذلك يعرض أقوال العلماء ومذاهبهم والروايات المنقولة عنهم، ويستقصي الأدلَّة لكلٍّ قول، ثم يناقش و يوازن ليرجِّح ما تطمئنُّ إليه نفسه، اتِّباعًا للدليل الصحيح والنص الصريح، وإعمالاً للقواعد والأصول في الاستنباط. وهذا مجال واسع للآراء والأقوال والترجيح للرأي النجيح.

ونجد أمثلة كثيرة على هذه الطريقة عند علمائنا في القديم والحديث، في شتى العلوم والفنون. ولا يغيب عن الذهن «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميَّة»، و«المعيار المُعْرِب» للونشريسي، و«الحاوي للفتاوى» للسيوطيِّ، و«فتاوى السُّبْكي»، و«رسائل ابن نُجَيم» الحنفيّ، و«مجموع رسائل الملَّا علي القاري الهَرَوِيّ»، و«الفتح

(١) من الأمثلة على ذلك أن العلامة أبا محمد بن غانم بن محمد البغدادي الحنفي (المتوفى في حدود١٠٣٠هـ) جعل مسائل الضمانات موضوعًا لكتاب قائم برأسه هو«مجمع الضمانات في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان» وقد طبع في المطبعة الخيرية بمصر عام ١٣٠٨هـ، ثم صدر في مجلدين بتحقيق محمد أحمد سراج، وعلي جمعة محمد، عن دار السلام بالقاهرة عام ١٤٢٠هـ.

الربـاني» للـشوكاني، ومجموعـة «رسـائل أبي الحـسنات اللَّكْنَـوي»، و«فتاوى الـشيخ محمـد عليش»، و«فتـاوى ورسـائل الـشيخ محمـد بـن إبراهيم آل الشيخ» و« فتاوى ورسائل الشيخ عبد العزيـز بـن عبـد الله بـن باز» وغيرها كثير.

فهـذه الكتـب والفتـاوى والمجـاميع لا تقتـصر عـلى الإجابـة عـلى السؤال باختصار حسب حاجة السائل أحيانًا، بل تتضمن مسائل أُفردت بالكتابة والبحث برسالة مستقلة.

وتلك الطريقة التي أشرت إليهـا، هـي التـي تـسير عليهـا الجـامعـات العـصرية والمعاهـد العليـا والكليَّـات العلميَّـة في مناهجهـا ودراسـاتها العليـا، حيـث تـشترط لتخـريج الطالـب في مرحلـة التخـصص الأولى (الماجستير) وفي مرحلة العالمِيَّة العالية (الدكتوراه) أن يكتب أطروحـة أو رسالة مبتكرة في موضوع تـخصصه، لها شروطها ومواصفاتها.

(٢)

تـأتي هـذه الكلـمات بـين يـدي كتـاب «**تحفـة المـودود بأحكـام المولود**» للإمام العلامة المتفنن، شمس الدين، محمَّد بن أبي بكر، ابن قيِّم الجوزيّة المتوفى سنة (٧٥١هـ) رحمه الله تعالى. وهو نموذج لتلك الدراسة والأسلوب الذي أشرت إليه.

وهـذا الكتـاب سبق لـه أن طبـع عـدة طبعـات في كثـير مـن الـبلاد الإسلامية، وكان لانتشاره أثر كبير في الإفادة منه ـ عـلى اختلاف منهج

تلك الطبعات في الإخراج والنشر - والتحقيق - وتأتي هذه النشرة المحققة على أصول خطية جيدة، في هذا المشروع الرائد، وهو (آثار الإمام ابن قيِّم الجوزيّة وما لحقها من أعمال) لتكون حلقة في هذه السلسلة المباركة، وتكون ضمن مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي الدولي.

(٣)

ونقدِّم بين يدي هذه الطبعة دراسة موجزة في فقرتين اثنتين؛ تتناول (إحداهما) تربية الأولاد في الإسلام، وأهم الكتب والمراجع القديمة في أحكام الأولاد، استكمالاً لتلك الفصول النافعة التي كتبها المصنّف - رحمه الله - في كتابه هذا، لعل فيها ما يساعد القارئ الكريم على الاطلاع ومتابعة البحث في هذه الجوانب.

وتتناول الفقرة (الثانية) الكتاب نفسه بالتعريف، ومنهج التحقيق.

وأما ترجمة المصنف وما يتصل بذلك؛ فإنها استُوعبت بالكتابة والدراسة في كتب كثيرة متخصصة. مع ما سيطبع ضمن هذا المشروع من ترجمته، ففيها الغناء والكفاية.

(٤)

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، متقبَّلاً عنده في صالح العمل، وأن ينفع به الأمة والملَّة، وأن يجعله في

ميزان أعمالنا يوم العرض عليه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وأسأله – سبحانه ــ أن يجزي كلَّ من كان سببًا فيه، و كلَّ من ساعد فيه، وبخاصة أهل بيتي وأولادي وبناتي جميعهم، الذين ساعدوا في المقابلة والمراجعة، وأدعو الله تعالى أن يحفظهم وأن يجعلهم قرة عين في الدنيا والآخرة.

وأما الأساتذة الكرام: الدكتور خلدون الأحدب، والدكتور محمد أجمل الإصلاحي، والشيخ علي بن محمد العمران، والدكتور سليمان العمير، الذين كان لقراءتهم الدقيقة وملاحظاتهم السديدة خير عون على الوصول بهذا العمل إلى ما نصبوا إليه من الإتقان، فما أنا ببالغ ما أريد من الثناء، فجزاهم الله خير الجزاء. وكذا أشكر الأخ الشيخ عدنان البخاري على قيامه بصنع فهارس الكتاب، فجزاه الله خيرًا.

و الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّدنا ونبيِّنا محمّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عثمان بن جمعة ضميرية

جامعة الشارقة

في: ٢٠ رجب ١٤٣٠هـ

أولاً: تربية الأولاد

الأسس والعوامل المؤثرة

كانت الكلمة الأولى التي أُنزلت على رسول الله ﷺ في آخر اتصال للسماء بالأرض هي كلمة «اقرأ»: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ – ٥].

١ – التربية في مدرسة النبوة:

وتتابع الوحي على رسول الله ﷺ، وبدأ ﷺ يدعو قومه للإسلام، ويقوم بتربية النخبة المختارة من بني البشر، التي أراد الله لها أن تمسك بزمام القيادة العالمية، وأن تكون ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] لتقوم بأعباء الرسالة الخاتمة، التي أعدَّها الله تعالى للقيام بها، فقد ربَّاهم ﷺ في مدرسة النبوة على الإيمان بالله تعالى وحده، وبعث في نفوسهم العزة والأمل، ربَّاهم في مكة المكرمة أولاً: على الإيمان والصبر والمجاهدة... ليتلقوا دعوة الإسلام بكل تكاليفها، ثم تابع ﷺ المسيرة التربوية: إيمانًا وإخلاصًا وتضحيةً وعبودية لله، ليسموَ بنفوس تلك النخبة الممتازة، من الجيل المثالي الذيتخرَّج على يديه.

منهج متكامل للتربية:

وقد قامت هذه التربية على أساسين عظيمين هما: كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وهما المصدران الأساسيان لهذا الدين، وقد حفل كلٌّ منهما بمنهجٍ متكامل للتربية الإسلامية المثالية، يشمل غايات التربية، ومنهجها، ووسائلها، وطرقها، وعواملها.

منهج يتناسق مع جميع مراحل النمو:

و هو منهج يعطي كلَّ مرحلة من مراحل النمو الإنسانيِّ ما يناسبها من التربية المتوازنة الشاملة المتكاملة، إذِ اقتضتْ حكمة الله تعالى: أن يمرَّ الإنسان بمراحل مختلفة، ويتقلَّب في هذه الحياة أطواراً؛ فهو «جَنِين» في بطن أمه، متكامل الخلق، بعد أن كان قبلها «نُطْفَة» ثم «عَلَقة» ثم «مُضْغة»، كما أشار إلى ذلك -سبحانه وتعالى- في كتابه الكريم فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾[الحج: ٥].

ثم هو بعد ذلك- بعد مرحلة الجنين- «طفلٌ»، ثم «نَاشِئ»، ينتقل لمرحلة «المُراهَقة» فمرحلة «الفُتُوَّة» فمرحلة «الشَّباب»،

ثم «الكُهُولَة» و«الشَّيخُوخَة».

وهو في كلِّ مرحلة من هذه المراحل: يتَّسم بصفات وسِمَاتٍ جسميَّة ونفسيَّة وخُلقيَّة تختلف عن الأخرى، وله في كل مرحلةٍ وطور حاجاتٌ ودوافع، ولكل مرحلة مشكلات خاصة وأساليب في التكيُّف والنموِّ والتربية، يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، عند تربية هذا الكائن.

والإسلام – دين الله الخالد ـ يضع لكل مرحلة من مراحل عمر الإنسان خطة تربوية فذة، ترتقي بهذا الإنسان إلى مدارج عالية وآفاق سامية، نلمحها في علاقة هذا الإنسان وتعامله مع ربه تبارك وتعالى، ومع نفسه، ومع الآخرين من حوله.

المنهج التربوي المتميز:

واليوم نجد كثيرًا من المثقفين وغير المثقفين يديرون كلمة «التربية» على ألسنتهم صباحَ مساء، وينظرون إلى مناهج التربية في بلاد الغرب على أنها هي التربية المثالية الفذة، التي تجعل من الإنسان نموذجًا مثاليًا يُشار إليه بالبنان... و ينسون– وهم في غرة البريق الخادع – أصالةَ دينهم، وشخصيتَهم الإسلامية، ومنهجَهم التربويَّ المتميز...

فكان من الوفاء لهذا الدِّين ولهذه الأمة وأجيالها المؤمنة: أن نعود بالأمر إلى نصابه، وبالفضل لأهله وذويه، وهذا ما دفعني لكتابة هذه الكلمات في تقديم هذا الكتاب، و الصلة بينهما وثيقة ومتينة.

٢- عوامل التربية:

يقصد بعوامل التربية كلَّ المؤثرات التي تؤثر في النشأة والنمو، من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية والدينية.

ويُعنَى الباحثون في التربية بتصنيف هذه العوامل وتعدادها، إلا أنه يمكن رَجْعُها إلى طائفتين اثنتين:

(**الطائفة الأولى**): عوامل التربية المقصودة، وهي الوسائل المدبَّرة التي يقوم بها الكبار حيال الصغار للتأثير في أجسامهم وعقولهم وأخلاقهم، لإعدادهم للحياة المستقبلة. وأهم مواطن هذا النوع من التربية: الأسرة (البيت) والمدرسة. ولما كانت المساجد تقوم بوظيفة المدرسة قبل إنشائها ، فإننا نضيف هذا العامل الهام وهو المسجد ، وكذلك المنهج الدراسي الذي يقوم بوظيفة كبرى في تقديم ما ينبغي للأبناء في دراستهم.

(**الطائفة الثانية**): عوامل التربية غير المقصودة، وهي العوامل التي تؤثر في نشأة الأطفال والمراهقين ونموهم دون أن يكون للكبار دخل في توجيهها نحو هذه الغاية، ولا في أدائها هذه الوظائف. وتنقسم هذه الطائفة إلى أقسام كثيرة، أهمها ما يلي:

أ- عوامل طبيعية، كالوراثة والبيئة والجغرافية.

ب- الأمور التي يقوم بها الطفل سدفوعًا إليها بعامل ميوله الفطرية، ومن أظهر هذه العوامل: الألعاب الحرة والتقليد.

ج - عوامل اجتماعية، كحضارة الأمة المنبثقة عن معتقداتها، وما إلى ذلك مما تشمله البيئة الاجتماعية العامة، ويندرج فيها ما يكوِّن الرأي العام، كوسائل الإعلام ونحوها[١]

فأهم عوامل التربية هي: الأسرة، والمدرسة، والمسجد، الوراثة، والبيئة الجغرافية، واللعب والتقليد، والبيئة الاجتماعية العامة، ووسائل الإعلام. و العامل الأول فيها هو أهم هذه العوامل وأكثرها تأثيرًا وصلة بموضوع هذا الكتاب، فيحسن أن نخصّه بالتنويه وبشيء من التفصيل.

دور الأسرة في التربية:

الأسرة هي الخلية الاجتماعية الأولى في المجتمع، وعلى صلاحها وقوَّتها واستقامتها يتوقف صلاح المجتمع وقوَّته وتماسكه، فالمرأة والرجل هما عماد الأسرة؛ إذا صلح كلٌّ منهما استطاع أن يكوِّن بيتًا نموذجيًا على القواعد التي وضعها الإسلام، وقد وضع الإسلام قواعد هذا البيت فأحكم وضعها، فقد أرشد الزوجين إلى حسن الاختيار، فقال رسول الله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لدينها ولمالها ولحسبها ولجمالها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[٢].

---

(١) انظر: عوامل التربية، د. علي عبد الواحد وافي، ص(٣) وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في النكاح برقم (٥٠٩٠) ومسلم في الرضاع برقم (١٤٦٦).

وبيَّن الطريق الفطري في لقاء الرجل بالمرأة، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم:٢١].

وحدَّد الحقوق والواجبات على كل من الطرفين، وما يتميز به كل واحد منهما، فقال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ [البقرة:٢٢٨].

وأوجب على الطرفين رعاية ثمرات الزواج (الأطفال) حتى تينع وتنضج في غير عبث ولا إهمال، فقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]

وقال الله سبحانه و تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] .

وعالج ما يعترض هذه الحياة الزوجية من مشكلات أدقَّ علاج، واختط في كل نظراته طريقًا وسطًا، لا إفراط فيه ولا تفريط، فقال الله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٨].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾[النساء: ٣٤-٣٥].

والإسلام يعتبر نظام الأسرة هو النظام الطبيعي الفطري المنبثق من أصل التكوين الإنساني، بل من أصل الأشياء كلِّها في الكون الذي يقوم على قاعدة الزوجية.

والأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الناشئة ورعايتها وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها، وفي ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وتنطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة، وعلى هديه ونوره تتفتح للحياة وتتعامل معها[1].

والأسرة منذ القديم كانت تقوم بوظائف اجتماعية كثيرة، ثم بدأت هذه الوظائف تتطور سعة وشمولاً، وتضييقًا وتحديدًا، حيث أصبحت كثير من المؤسسات الاجتماعية والتعليمية والثقافية تنازع الأسرة هذه الوظائف الاجتماعية والتربوية إلا أنها لازالت ـ وستبقى ـ عاملاً من

(١) في ظلال القرآن: ٢/ ٢٣٥.

أهم عوامل التربية على الإطلاق، وترجح على بقية العوامل الأخرى مجتمعة[1].

تأثير الأسرة في العوامل التربوية:

والأسرة تؤثر في العملية التربوية من ناحيتين اثنتين:

(الأولى) تأثيرها في عوامل التربية الأخرى، فإن للمنزل آثارًا بليغة في مختلف عوامل التربية الأخرى المقصودة وغير المقصودة.

و(الثانية) آثارها التربوية الخاصة بها. فالطفل الإنساني هو أطول الأحياء طفولة، ومن ثم كانت حاجته لملازمة أبويه أشدَّ من حاجة أي طفل لحيوان أخر، وكانت الأسرة المستقرة الهادئة ألزم للنظام الإنساني وألصق بفطرة الإنسان وتكوينه ودوره في هذه الحياة، وعلى المنزل يقع قسط كبير من واجب التربية الخُلُقية والوجدانية والدينية في جميع مراحل الطفولة، بل في المراحل التالية لها كذلك؛ ففي المنزل تشيد أسس العقيدة و العبادة والأخلاق، فإن كان الأساس متينًا كان البناء قويًا متينًا، وإلا انهار البناء.

---

(١) انظر عوامل التربية ص ٥-٧، الأسرة والمجتمع ص ١٦-٢١ كلاهما للدكتور علي عبد الواحد وافي.

٣- وسائل التربية:

أ ـ الوسيلة الأولى: القدوة الحسنة، وهي الوسيلة الفعالة في التربية، ولها التأثير الكبير فيها بجميع نواحيها، إذْ لا بد للطفل في البيت أو الطالب في المدرسة من مثل أعلى يقتدي به ويترسم خطاه، فلنقدم له القدوة الحسنة متمثلة برسول الله ﷺ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١]، ومتمثلة بالجيل الأول من الصحابة، ومن أبطال الإسلام وقادته على مرِّ العصور.

والرسول ﷺ لم يكن يربيِّ أصحابه بالكلام يديره على لسانه، وإنما كان يربيهم بأفعاله، فقد كان -عليه الصلاة و السلام- قرآنًا يمشي على الأرض، و«كان خلقه القرآن»؛ لذا مدحه الله تعالى فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

والمسلم يربيِّ بسلوكه و عمله قبل أن يربي بلسانه وكلامه. والإسلام انتشر في كثير من بقاع العالم بواسطة التجار المسلمين الذين كانوا أمثلة طيبة وقدوة صالحة.

ولذلك نجد الطفل الذي يرى أبويه يقفان في جوف الليل، يناجيان الله تعالى بالعبادة والصلاة والدعاء... يتعلم السموّ الروحي عمليًا منهما.. و لن يتعلم الفضيلة طفل يرى أبويه أو أحدهما منغمسًا في الرذيلة والشهوات؛ لأنهما قدوة له، وهو يتأثر بهما، ولن يتعلم

الإنسانية والخلق السامي طفل يجد صدر أبيه ممتلئًا حقدًا أو بغضًا وحسدًا وضغينة على الآخرين.

ب - والوسيلة الثانية: هي التربية بالموعظة، وذلك كي تتفتَّح النفس ويتذكر القلب، بعد أن يكون قد شرد عن الله وغفل عنه لسبب من الأسباب التي تصرف الإنسان وتبعده عن الله وعن منهجه وعن دينه، وفي القرآن الكريم نماذج كثيرة رائعة للتربية بالموعظة منها موعظة لقمان لابنه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ...﴾ إلى آخر الآيات [لقمان: ١٣ - ١٩].

وما أكثر مواعظ الرسول ﷺ؛ وما أشدَّ تأثيرها في النفوس! فمواعظه تتفتّح لها القلوب والعقول وتذرف لها العيون. وقد كان عليه الصلاة والسلام يتخوَّل أصحابه بالموعظة بين الحين والآخر، ومن ذلك حديث العرباض بن سارية: «وعظنا رسولُ الله ﷺ موعظة وَجِلَت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودِّع فأوْصِنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة ..»[1].

(١) رواه أبو داود: ٧/ ١١، والترمذي: ٧/ ٤٣٨. وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

وكان عليه الصلاة والسلام يعظ أصحابه عند ما يشاهد خطأ، وينبِّه إليه بطريقة تربوية فذة، حيث يصعد المنبر ويقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، أو ما بال أقوام يتنزهون عن كذا»[1].. أو «لينتهينَّ أقوام عن كذا..»[2]

جـ ـ والقصة هي الوسيلة الثالثة: وهي وسيلة فعالة، لأن الإنسان يتطلع دائمًا ويتشوق إلى معرفة المجهول، ويتطلع إلى المفاجآت، والقصة تحتوي على كل هذه العناصر المشوقة، ومن هنا كان تأثيرها الكبير في النفس، حتى إن القرآن الكريم قد ذكر كثيراً من القصص بهدف التربية وأخذ العبرة والعظة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[يوسف:١١١].

وقد أخضع القرآنُ الكريم القصةَ بجميع أنواعها للغرض الديني التربوي. فليكن هذا حافزًا لاستعمال القصص الناجحة الموجهة في تربيتنا لأولادنا وطلابنا.

د ـ التربية بالأحداث والوقائع: وهي وسيلة بارزة، حيث يستطيع المربي الماهر أن يتلقف كل حادث يقع ليغرس في أعقابه مباشرة ما يريد

(١) كما في صحيح البخاري، كتاب الاعتصام: ١٣/ ٢٧٦، و صحيح مسلم في الفضائل: ٤/ ١٨٢٩.
(٢) كما في صحيح مسلم، كتاب الجمعة: ٢/ ٥١٢.

من المُثل والأخلاق والأحكام في نفوس من يعلِّمهم ويربيهم؛ لأن النفس في أعقاب الحادثة تكون مستعدة لتلقى الدرس، كما فعل القرآن الكريم في تربية الجيل الأول، ونجد أمثلة لذلك في الآيات التي تنزلت في أعقاب غزوة بدر وأحد وحنين .. إلخ، ونجد لهذا أمثلة رائعة في السيرة النبوية كما في موعظة النبي ﷺ للأنصار عقب توزيع غنائم هوازن ...

هـ - **ونأتي أخيرًا إلى العقوبة والمثوبة** ومكانهما في التربية، فإن المثوبة أو الجزاء الطيب على العمل الطيب والتشجيع عليه بكل طريقة، وسيلة ناجحة تحمل على السعي الحثيث نحو الخير والفضيلة، وما أكثر الآيات القرآنية التي يرغِّبنا الله تعالى فيها بجنته وثوابه.

والعقوبة أيضًا تقابل المثوبة وتسير معها، فليست كل نفس تنفع فيها المثوبة أو الموعظة، وعندئذ نلجأ إلى العقوبة وسيلةً أخيرة في التربية، وهي تتدرج من النظرة إلى الكلمة الطيبة ثم الكلمة العنيفة القاسية حتى إنها لتصل أحيانًا إلى الضرب .. وخيرُ عقوبةٍ هو الحرمان من المثوبة والجزاء.

وغنيٌّ عن البيان أن كُلًّا من المثوبة والعقوبة تتنوع إلى مادية وأدبية، ولكل منهما تأثير في النفوس. وحسبنا هذه الإشارات السريعة، و للتفصيل مجال آخر[1].

---

(١) انظر بالتفصيل: منهج التربية الإسلامية: ١/ ١٨٠ وما بعدها.

٤ ـ أُسُس التربية في البيت المسلم:

وفيما يلي عرض موجز لبعض الأسس والقواعد التي تقوم عليها التربية الإسلامية، و هي في الحقيقة من مقومات المنهج التربوي في الإسلام.

أ ـ التربية الخلقية:

إن التربية الخلقية من المثل السامية للتربية في الإسلام، وهي تعمل على تكوين رجال مهذبين ونساء مهذبات، ذوي نفوس أبية، وعزيمة صادقة، وأخلاق عالية، وعندما امتدح الله تعالى نبيه عليه الصلاة و السلام قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]. وقال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[١]. و روي عنه أنه قال: «أدَّبني ربي فأحسن تأديبي»[٢].

والأخلاق يجب أن تكون قرين العلم، بل تاجه، لأن العلم إن لم يصحبه الخلق، كان وسيلة هدم وشر، و في هذا يقول الشاعر:

لا تحسبنّ العلمَ ينفعُ وَحْدَه ما لم يُتَوَّجْ ربُّه بخَلاقِ

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ:٢/ ٤٧. وانظر: مجمع الزوائد للهيثمي:٩/ ١٥.

(٢) رواه السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء ص ١، والعسكري في الأمثال. وهو ضعيف من حيث السند. انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما يدور من الحديث على ألسنة الناس للعجلوني: ١/ ١٦.

فلا بد إذن من شيء آخر بعد العلم والمعرفة، اسمه التهذيب والتربية الخلقية، فينبغي أن يكون دائمًا لوزارة المعارف رسالة مزدوجة، جامعة بين التربية والتعليم جميعًا ...

ولهذا عدَّلت كثير من الدول اسم وزارة المعارف إلى وزارة التربية، لأن التربية لها المحل الأول من العناية، والتعليم وسيلة لا غاية، كما أن التربية تتضمن أيضًا العلم والمعرفة.

وقد عُنِي الإسلام بالتربية الخلقية منذ طفولة الناشئ حتى تتكون لديه العادات الحسنة منذ الصغر، إذ يشيب المرء على ما يشبُّ عليه.

والطفل كالنفس، إن تهمله شبَّ على حبِّ الرضاع وإن تفطمْه ينفطِم

ب ـ تربية الضمير الديني:

إن القرآن الكريم يقف بكل شخص من المسلمين أمام ثلاث محاكم أدبية؛ محكمة الضمير في قلوبنا، ومحكمة الرأي العام من حولنا، ومحكمة السماء من فوقنا، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقد هيَّأنا القرآن الكريم وأعدَّنا للوقوف أمام هذه المحاكم بأنواع ثلاثة من التربية لوجداننا: تربية الوجدان الخلقي، وتربية الوجدان الاجتماعي، وتربية الوجدان الأدبي.

جـ - بناء الشخصية السويَّة:

ومنهج الإسلام في بناء شخصية المسلم، يجعلها شخصية سوية، تتمتع بكل مظاهر الصحة النفسية وأركانها. فالإسلام إذا خالطت بشاشته القلوب: يشيع فيها الطمأنينة والثبات و الاتزان الانفعالي والعاطفي والعقلي، ويقيها من القلق و الخوف و الاضطرابات. كما يُعنى الإسلام بغرس أركان الصحة النفسية في المسلم منذ المراحل الأولى لحياته، ويوجهه إلى المرونة في مواجهة الواقع، والصبر عند البلاء، ويحثه على التعاون مع جماعة، المسلمين، ويحثه على القناعة والرضا والتفاؤل.

د - الإقناع وحرية الفكر:

يدعو الإسلام إلى توليد الرغبة والدافع، وتحري الإقناع، والحلم وسعة الصدر، وترك المجاهرة بالتوبيخ؛ ولذلك أمر أن تكون الدعوة بالحسنى والرفق، فقال الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ [النحل: ١٢٥].

كما احترم الإسلام الفكر وأعطاه الحرية في العمل، ولكنه أحاطه بضوابط كثيرة لئلا يضلّ، ومن هنا كانت حرية العقيدة، بمعنى عدم الإكراه على الدين بالنسبة لأهل الكتاب من اليهود و النصارى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

هـ ـ النهي عن التقليد الأعمى:

يهاجم الإسلام التقليد، وينعى على المقلدين في كثير من آيات القرآن، ويسخر منهم ويجعلهم كالحيوانات التي لا إرادة لها ولا إدراك. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[البقرة: ١٧٠].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١].

وقال عليه الصلاة و السلام : «من تشبّه بقوم فهو منهم»(١).

و ـ المساواة وتكافؤ الفُرَص:

ومن أسس التربية الإسلامية المساواة في الحقوق والواجبات. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال عليه الصلاة والسلام:«لا فضل لعربي على أعجمي.. إلا بالتقوى»(٢)

---

(١) أخرجه أبو داود في اللباس، باب لباس الشهرة: ٦/ ٢٤ (من مختصر المنذري وتعليق ابن قيم). وبأتم منه أخرجه الإمام أحمد: ٢/ ٥٠، وفي طبعة الرسالة: ٩/ ١٢٣، وعبد ابن حميد، ص ٢٦٧، و ابن أبي شيبة: ٥/ ٣١٣. وقوّاه ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم: ١/ ٢٣٦. وانظر تعليق المحقق على المسند في الموضع السابق.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند:٥/ ٤١١، و في طبعة الرسالة: ٣٨/ ٤٧٤ . وقال محققه: إسناده صحيح.

وهذه المساواة لا تغفل عوامل الذكاء والاستعدادات والملكات الفطرية، واختلاف القدرات العامة والخاصة وأثر ذلك كله في النشاط العام وترقية الحياة.

ز ـ الدعوة إلى العمل:

إن القرآن الكريم يدعو إلى العمل الذي يجلب الخير للناس، ويؤدي إلى زيادة وتنمية الحصيلة الإنتاجية للأفراد والجماعات، ولذلك يجب أن توجه العناية إلى تدريب القوى البشرية للارتفاع بمستوى الحياة من جميع نواحيها. قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة:١٠].

ح ـ الدعوة إلى العلم:

وليست الدعوة إلى العلم مقصورة على العلم الديني فحسب، ولكنها تتناول جميع العلوم والمعارف التي تساعد على النهوض بمستوى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، وبذلك فتح الإسلام آفاقًا رحيبة أمام العقل الإنساني ودعاه إلى الفكر والنظر. والآيات والأحاديث في العلم و فضله والحث عليه، وفي النظر والفكر والتفكر والمطالبة بالدليل، كثيرة تعزُّ على الحصر، كقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

ط ـ الوسطية والاعتدال:

استمدت التربية الإسلامية روحها من روح الإسلام فكانت تربية وسطاً في النواحي المادية والروحية، أو الدنيوية والأخروية، فهي تدعو إلى الأخذ من كلٍّ منهما بنصيب. قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

ي ـ الرفق والحب:

يوجِّه الإسلام أتباعه إلى المعاملة بالرفق والحب، والبعد عن العنف بكل صوره، قال عليه الصلاة و السلام: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»[1]. وفي سيرة النبي عليه الصلاة و السلام، وفي سيرة أصحابه أمثلةٌ رائعة للتربية برفقٍ على أساس الحب والمودة.

ك ـ التكليف بالوسع:

يوجه الإسلام إلى أن تكون معاملتنا لمن نربيهم قائمة على سياسة واعية تقدر طبيعة المرحلة التي يمرون بها وما يتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم، فلا نكلفهم فوق ما يطيقون، مما يعجزون عن تنفيذه والالتزام به، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب فضل الرفق: ٣/ ٢٠٠٤ برقم (٢٥٩٤).

هذه لمحات عن بعض أسس التربية في الإسلام، نكتفي بها في هذا المقام، تاركين التفصيل والتوسع للمراجع المختصة بالتربية الإسلامية.

وفي ختام هذه الفقرة: من الواجب أن نؤكد على توجيه الأبناء توجيهاً سليماً واضحاً، والابتعاد عن السطحية والضحالة في تقديم الأفكار الدينية لهم وتعليمهم إياها؛ إذ يجب أن نوسِّع ثقافتهم من الناحية الدينية حتى ننهض بمستواهم الروحي، ونرى أثر هذه الثقافة في أخلاقهم وسلوكهم.

والذي ينبغي تأكيده من أجل أن تقوم الأسرة بدورها في تربية الأبناء: هو أن نسعى لتوفير البيئة النظيفة الصالحة كي تتضافر العوامل كلها على عملية البناء، ولذلك فإن كل من بيده الأمر – قدرة وعلمًا وسلطاناً ـ يجب عليه أن يقف في وجه وسائل الإعلام الهدّامة التي تدعو إلى الخنا والفجور والرذيلة، لأنها أسرع فتكًا و أعون على الهدم من غيرها. وهنا تأتي أهمية المحاضن النظيفة المؤثرة كالمراكز الشبابية و المراكز الصيفية والنوادي العلمية و الاجتماعية.

وهذا هو الطريق السوي السليم ـ فيما أحسب ـ في توجيه الأبناء دينيًا واجتماعيًا وخلقيًا، بحيث نبعث في نفوسهم السكينة والاطمئنان، والثقة بالنفس، مع القناعة العقلية والوجدانية، والمباعدة بينهم وبين الغرور، وبهذا نحفظهم من رياح الإلحاد والاستهتار

والانحلال، ونؤهلهم للقيام بالدور الذي تنتظره منهم أمتهم ومجتمعهم. والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٥ ـ أهم الكتب في أحكام الأولاد وتربيتهم:

حفلت المكتبة الإسلامية بجملة وافرة من كتب التراث الإسلامي في أحكام الصبيان وتربية الأبناء وما يتصل بذلك من المباحث التي عرض لها المصنف ـ رحمه الله ـ كالختان والعقيقة وثواب الصبر على فقد الأولاد من البنين والبنات. وفيما يلي طائفة من هذه الكتب ملتقطة من «معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي»، ومن «كشف الظنون» و ذيله: «إيضاح المكنون»، مما يجعلني أكتفي بهذه الإشارة إليهما دون إكثار من الحواشي والإحالات عند كل كتاب منها. ومن هذه الكتب:

- الاحتفال بالأطفال، للشيخ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة (٩١١ هـ)، وهي رسالة أوردها بتمامها في «الحاوي للفتاوى». وهو مطبوع.

- أخبار الصبيان، لمحمد بن مخلد بن حفص العطار الدورى المتوفى سنة (٣٣١ هـ)

- ارتياح الأكباد بأرباح فَقْد الأولاد، للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة (٩٠٢هـ).

- الإرشاد إلى حكم موت الأولاد، لجمال الدين يوسف بن حسن ابن أحمد المعروف بابن عبدالهادي المتوفى سنة (٩٠٩هـ).

- أسنى المقاصد فى معرفة حقوق الولد على الوالد، لزين الدين بركات بن أحمد بن محمد بن يوسف الدمشقى معروف بابن الكيّال المتوفى سنة (٩٢٩ هـ).

- برد الأكباد عند فقد الأولاد ، للحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقى المتوفى سنة (٨٤٢ هـ). مطبوع.

- البرهان في أصح أقوال الختان، لأبي المواهب البكري.

- البستان في مسألة الختان، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة (٩٠٢هـ).

- تبريد حرارة الأكباد فى الصبر على فقد الاولاد، لكمال الدين أبى حفص عمر بن أحمد بن العديم الحلبي المتوفى سنة (٦٦٠ هـ).

- تبيين الامتنان بالأمر بالاختتان، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة (٥٧١هـ).

- تحرير المقال فى آداب وأحكام مؤدبي الأطفال، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن على بن حجر الهيتمي المكي الشافعي المتوفى سنة (٩٧٤هـ). و هو مطبوع.

- تحفة أهل الإحسان لفضائل سنة الختان، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن يوسف.

- تحفة الصبيان، لمحمد توفيق بن شيخ عثمان بن الشيخ مصطفى الأنقروى المتوفى (١٣١٩ هـ).

- تسلية الحزين فى موت البنين، لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن حجلة (التلمسانى الحنفى) المتوفى سنة(٧٧٦ هـ).

- التعريف والتبيين فى ثواب فقد البنين، لكمال الدين محمد بن يحيى الهمداني المصري الشافعي.

- التغلغل والإطفا لنارٍ لاتُطْفا، في موت الأطفال، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى (٩١١ هـ).

- التلقين لأولاد المؤمنين، لأبي الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي نزيل الرملة المتوفى سنة (٤٤٩ هـ).

- تنبيه الغبي على حكم كفالة الصبي، لأحمد بن سيد محمد مكي الحسيني الحموي شهاب الدين المصري المتوفى (١٠٩٨هـ).

- ثواب المصاب بالولد، للحافظ أبي القاسم علي ابن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة (٥٧١ هـ).

- جامع أحكام الصغار لمحمد بن محمود بن الحسين الأسروشني الحنفي، المتوفى سنة (٦٣٢هـ). وهو مطبوع بالقاهرة.

- الحرز المعدّ لمن فَقَد الولد، لتاج الدين السعدي عبد الغفار بن محمد المتوفى سنة (٧٢٢ هـ).

- رشف الحقيقة في كشف العقيقة، لمستقيم زاده الرومي.

- سلوان الجلد عند فقدان الولد، لسليمان بن خلف المصرى المتوفى سنة (٦١٤هـ)

- سلوة الهموم، لحسام الدين علي بن أحمد الرازي الحنفي المتوفى (٥٩٨هـ).

- فصل الجلد عند فقد الولد، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطى المتوفى (٩١١ هـ).

- الفضل المبين فى الصبر عند فقد البنات و البنين، للشيخ الإمام شمس الدين محمد بن علي بن يوسف الدمشقي الصالحي المتوفى (٩٤٢ هـ).

- كتاب العقيقة، لعلي بن الحسن بن فضال الكوفي.

- مأدبة الختان، لجمال الدين محمد بن محمد القارصي الرومي الحنفي المتوفى سنة (١٢٦١هـ).

ثانيًا: كتاب «تحفة المودود بأحكام المولود»

١ - نسبة الكتاب للمؤلف وتسميته:

إن نسبة الكتاب لابن قيّم الجوزية ثابتة من طرق لا تجعل للشك طريقًا إلى هذه النسبة؛ فقد جاءت جميع النسخ الخطية للكتاب مصرّحة بذلك، وستأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ نماذج من صور النسخ الخطية.

كما جاءت نسبة الكتاب أيضًا في الكتب التي عُنيت بالتراث والفهارس، وفي المصادر التي ترجمت للمؤلف مثل «كشف الظنون» لحاجي خليفة[١]، و«هدية العارفين» للبغدادي[٢]، و«أبجد العلوم» للقِنَّوجي[٣]، و«الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب[٤]، و«الدّر المنضّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» للعُلَيْمي[٥]، و«طبقات المفسرين» للداوودي[٦]، و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي[٧]، و«البدر الطالع» للشَّوكاني[٨]، وغيرها من المصادر.

---

(١) ١/ ٣٧٥.
(٢) ٢/ ١٥٨.
(٣) ٣/ ١٣٨-١٤٠.
(٤) ٢/ ٤٥٠.
(٥) ٢/ ٥٢٢.
(٦) ٢/ ٩٦.
(٧) ٦/ ١٧٠.
(٨) ٢/ ١٤٣.

ونجد في الكتاب كثيرًا من النصوص والمسائل أو المباحث المشتركة في كتب أخرى للمصنف مثل «زاد المعاد»[١]، و «التبيان في أيمان القرآن»[٢]، و «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»[٣]، و«بدائع الفوائد»[٤]، و«كتاب الفروسية»[٥]، و«طريق الهجرتين»[٦]، و«الطرق الحكمية في السياسة الشرعية»[٧]، و«إعلام الموقعين عن رب العالمين»[٨]، و«شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»[٩]، و«جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام»[١٠]، و«عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»[١١]. وقد أشرت إلى مواضع هذه المشابهات أو بعضها في مناسباتها.

---

(١) انظر فيما سيأتي من التحفة: ص ٤٥ و٦٦ و٦٩ و٧٣ و٧٤ و٩٥ و١٠٢ و١٦٣ و١٦٧ و١٩٢ و٢٠٢ و٢١٥ و٢٣١ و٢٦٩ و٢٩٦ و٣٤٦ و٣٦٢.

(٢) انظر فيما سيأتي: ص ٣٥٦ و٣٥٨ و٣١٢و ٣٧١ و٣٧٨ و٣٩٤.

(٣) انظر فيما سيأتي: ص ٣٥٦ و٣٩٤.

(٤) انظر فيما سيأتي: ص ٢١٢.

(٥) انظر فيما سيأتي: ص ٣١٦.

(٦) انظر فيما سيأتي: ص٣٧١ و٤١٦.

(٧) انظر فيما سيأتي: ص ٣٩٤ و٣٩٥.

(٨) انظر فيما سيأتي: ص ٢٥٩ و٣١٣.

(٩) انظر فيما سيأتي: ص ٢٣٥ و٣٧١.

(١٠) انظر فيما سيأتي: ص ٢١٢.

(١١) انظر فيما سيأتي: ص ٢٣٥ و٣٧١.

كما أن المصنّف نقل عن شيخه «ابن تيمية» في عدد من المواضع، وهذه النقول ثابتة في كتب الشيخ وفتاواه بنصها أحيانًا[1]. وكذلك نقل عن شيخه «أبي الحجّاج المزّي»[2].

أما تسمية الكتاب؛ فقد نصّ عليها المصنف ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتابه فقال: وسمَّيتُه: «تحُفةَ المَودودِ بأحكامِ المولودِ». وهو العنوان المثبت على غلاف نسختي الظاهرية بدمشق (د) و قليج علي بإستانبول (ج).

وجاء على غلاف المحمودية بالمدينة المنورة (أ): «تحُفة المودودِ في أَحكامِ المولودِ» كما هو في «كشف الظنون» و«هدية العارفين» و «الدر المنضّد»، وذكره في «هدية العارفين» مرة ثانية باسم «أحكام المولود».

أما نسخة عارف حكمت بالمدينة المنورة (ب) فجاء العنوان فيها على الغلاف «تحفة المولود».

وفي نسخة دار الكتب المصرية رقم (٨٧) فقه حنبلي، وفي «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب، وفي «أبجد العلوم» لمحمد

(١) انظر فيما سيأتي، الصفحات: ١٤٧و١٥٦ و٢٦٩ و٢٩٢ و٣٢١ و٣٦٢
(٢) انظر فيما سيأتي، ص ٢٣١.

صدّيق خان القِنَّوجي باسم «تحفة الودود في أحكام المولود»، وهو كذلك في «بغية النسّاك» للسفاريني.

وهذه التسميات إما تحريف أو اختصار للاسم أو إشارة إليه، ويبقى العنوان الأول الذي أثبتناه، هو العنوان الصحيح المشهور؛ ولأن المصنّف رحمه الله نصَّ عليه كاملاً في مقدمته.

٢- سبب تأليف الكتاب وموضوعه:

وكان **سبب تصنيف الكتاب** ما ذُكر في صفحة عنوانه من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، فقد كتب عليها: «قال من نثق بقوله: إن الله - عز وجلَّ- رزق ابن المصنف برهان الدين مولودًا، و لم يكن عنده في ذلك الوقت ما يقدمه لولده من متاع الدنيا، فصنّف هذا الكتاب و أعطاه إيّاه، وقال له: أتحفتك بهذا الكتاب؛ إذْ لم يكن عندي شيء من الدنيا أعطيك»، وسمّاه «تحفة المودود بأحكام المولود».

و أما موضوعه: فقد أبان عنه المصنف بقوله في مقدمته[1]: «وهذا كتابٌ، قَصَدْنا فيه ذِكْرَ أحكامِ المولُودِ المتعلِّقةِ به بعد ولادتهِ ما دامَ صغيرًا؛ من عَقيقتهِ وأحكامِها، وحَلْقِ رأسهِ، وتَسْميتِهِ، وخِتانهِ، وبَولهِ، وثَقْبِ أُذُنهِ، وأحْكامِ تربيتهِ، وأطوارِه من حين كونهِ نُطْفَةً إلى مُسْتَقَرِّهِ في الجنَّةِ أو النَّارِ، فجاء كتابًا بديعًا في معناهُ، مشتملاً من الفَوائدِ على ما لا

---

(١) ص ٦و٧ من مقدمة المصنف.

يَكـادُ يُوجَـدُ في سِوَاه؛ مِـنْ نُكَـتٍ بَدِيعَـةٍ مـن التَّفسيرِ، وأحَادِيـث تـدعُو الحاجةُ إلى مَعْرِفَتِهَا وعِلَلِهَـا والجَمْـعِ بـين مخُتْلِفِهَـا، ومسائلَ فقهيَّـةٍ لا يَكادُ الطالبُ يَظْفَرُ بها، وفوائدَ حِكميَّـة تشتدُّ الحاجةُ إلى العلمِ بها».

ثم وصفَه وأبان عن مكانته فقال: «فهو كتابٌ ممتعٌ لقارئِهِ، مُعْجِـبٌ للنَّاظرِ فيه، يَصْلحُ للمَعَاشِ والمعَادِ، ويحتاجُ إلى مضمونهِ كلُّ من وُهِبَ لـه شيءٌ مـن الأولادِ. ومِـنَ الله أسـتمدُّ الـسَّدادَ، وأسـألُ التَّوفيـقَ لِـسُبُلِ الرَّشادِ، إنّه كريمٌ جَوادٌ».

٣- منهج الكتاب وأسلوبه:

يجد الدارس لكتاب «تحفة المودود بأحكام المولود» أن المؤلف سلك منهجًا وصفيًا استقرائيًا نقديًا مقارنًا. فهو منهج وصـفي يستند إلى التحليل باستقراء الجزئيات وتصنيفها وترتيبها، مـع التوثّـق والتأكّـد مـن صحة نسبة الأقوال ومناقشتها، وما يكتنفها من شرح وتفسير.

وهو أيضًا مـنهج استنباطي يـستخدم القواعـد الأصـولية والفقهيـة واللغوية، وينطلق من الجزئيات إلى الكليّات و الحقائق العامة.

وهو كذلك مـنهج مقـارن يقابـل الآراء و الأقـوال ببعـضها ويـوازن بينها ليرجّح ما يراه القويّ الراجح منها. وبذلك تكاملت لدى المـصنف أنواع المنهج العلمي في البحث.

وأما **أسلوب الكتاب**؛ فهو ما عهدناه في سائر كتبه و مؤلفاته[1]، فهو يمتاز بالوضوح في العبارة، و البعد عن الجفاف والتعقيد، ينتقل من حكم أصل إلى حكم فرع، إلى إشارات تربوية وتحضيض على الطاعات وتحذير من المخالفات، ويمزج هذا كله بروحانية عالية وشفافية فائقة، يقرأ القارئ فيه صفحات طويلة دون أن يقف عند كلمة أو عبارة تحتاج إلى شرح أو إيضاح، إلا ما كان أقل من القليل.

كما يمتاز بقوة الحجة والدليل، وتنوع وسائل الاستنباط؛ فهو يقدم الحجة تلو الأخرى من القرآن الكريم و السنة النبوية والآثار المروية والإجماع و القياس، ويمزج ذلك بالحكمة التشريعية والتعليل. وهذا الاعتداد بالأدلة الشرعية لم يقف حاجزًا بينه وبين الاستفادة من كتب غير المسلمين في الطب و التشريح و الغذاء فيما نقله عن «بقراط» و«جالينوس» مثلاً، مع تعقيبه على بعض النقول والآراء.

كما يمتاز بالروح الإصلاحية التي تشيع في أبواب الكتاب وفصوله، و في تعقيبه على كثير من المسائل و الآراء و المذاهب، حيث كتبه بروح الداعية المصلح و فكره، ومزج بين الحكم الفقهي والإرشاد و التوجيه.

---

(١) وانظر ما كتبه الشيخ بكر أبو زيد عن منهج المؤلف في البحث والتصنيف في كتابه «ابن قيم الجوزية: حياته ،آثاره، موارده» ص ٨٥-١٢٨.

ويتميز بميزة أخرى ـ كسائر كتبه ـ وهي البعد عن التعصب المذهبي و الهجوم على الآخرين من المخالفين، فرغم اعتداده بمذهب الإمام أحمد وعنايته بنصوصه في كل المسائل التي عرضها، فإنه يعرض آراء العلماء بإنصاف واستيعاب ، وقد يناقشها بأدب وعلم، وقد يرجح بعضها ويعلن ذلك الترجيح. ولا ضير في أن يوافقه القارئ في هذا الترجيح أو ذاك أو يخالفه فيهما أو في أحدهما، فباب العلم و الترجيح باب واسع لا يضيق بأصحابه، و ما ينبغي محاربة التعصب للرأي بتعصب آخر.

هذا، وقد نجد في الكتاب استطرادات تدعو إليها الحاجة أحياناً، كما قد تدعو إليها المناسبة، وفي هذا وذاك فائدة للقارئ، أشار إليها المصنف في كتابه واعتذر عنها، كقوله عقب استطراد في فصل عقده لوقت تسمية المولود[1]: «وهذا فصلٌ معترض يتعلَّق بوقت تسميةِ المولود، ذكرناه استطرادًا، فلنرجع إلى مقصود الباب».

وفي موضع آخر عقد فصلاً «فيما يُستحبُّ من الأسماء وما يُكره منها» واستطرد فيه استطرادات مفيدة، ثم قال[2]: «وهذا بابٌ طويل عظيمُ النفع، نبَّهْنا عليه أدنى تنبيه، والمقصودُ ذكرُ الأسماء المكروهةِ

(١) ص ١٦٢.
(٢) ص ١٨٢.

والمحبوبةِ». و إن كانت الاستطرادات أحيانًا تقطع سلسلة الأفكار المتتابعة، وتفصل بين فقرات الموضوع الواحد المتكامل.

ويصف الشيخ العلامة محمد أبو زهرة أسلوب ابن القيم في الكتابة و التأليف فيقول[1]: «كانت كتابته في هدأة واطمئنان، ولذلك جاءت هادئة، وإن كانت عميقة الفكرة، قوية المنحى، شديدة المنزع، وكانت حسنة الترتيب؛ منسقة التبويب؛ متساوقة الأفكار؛ طلية العبارة، لأنه كتبها في اطمئنان؛ و تجمع كتابته جمعًا متناسبًا بين عمق التفكير وبُعد غوره، ونصوع عبارته وحسن استقامة الأسلوب؛ من غير ضجة ألفاظ ... و كانت كتابته مع كل هذا فيها نور السلف، وحكمة السابقين، فهو كثير الاستشهاد بأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين».

٤- مصادر الكتاب:

اعتمد المصنف ـ رحمه الله ـ جملة من المصادر التي لها قيمتها العلمية، وقد تنوعت ما بين كتب في التفسير والحديث وشروحه، وكتب في الفقه والمسائل الفقهية، وكتب في الفقه العام والإجماع والخلاف، وكتب في السيرة النبوية، وفي التاريخ والتراجم ، وكتب في اللغة والأدب، وكتب في الطب. وبعض الكتب متخصصة في باب أو مسألة معينة. ومن هذه المصادر ما هو مطبوع، ومنها ما لا يزال

(١) في كتابه: ابن تيمية، حياته وعصره، آراؤه وفقهه. ص ٥٢٨.

مخطوطاً. ومن المصادر ما قد يكون النقل منه بالواسطة، كالذي نجده في كتب أصحاب المسائل المروية عن الإمام أحمد -رحمه الله- فقد أكثر من الرجوع إلى «الجامع لعلوم الإمام أحمد» لأبي بكر الخلال، لينقل الروايات المتعددة التي رواها أصحاب المسائل أو بعضهم.

كما نجد ضمن مصادره معلومات شفوية مباشرة كالذي سمعه من شيخيه ابن تيمية[١] والمزي[٢] وغيرهما[٣].

وفيما يلي إشارة إلى أهم هذه المصادر ومواضع الاستفادة منها مرتبة على الحروف:

- الأجنة لبقراط، ص(٣٥٨ و٣٦١ و٣٩٩ و٤٠١).

الاحتياطات للحكيم الترمذي، بواسطة «الختان» لابن أبي جرادة، ص (٣٠١).

- الأدب لحميد بن زنجويه، ص (٢٠٦ و٢٠٧).

- الإرشاد إلى سبيل الرشاد لابن أبي موسى، ص (٢٣٧).

- الاستذكار لابن عبد البر، ص(١٧٦ و١٧٨).

---

(١) انظر فيما سيأتي، الصفحات: ١٤٧و١٥٦ و٣٦٢

(٢) انظر فيما سيأتي ص (٢٣١).

(٣) انظر ص(٢٩٠) حيث قال: وأخبرني صاحبنا محمَّد بن عثمان الخليليُّ المحدِّث ببيت المقدس...، وفي ص (٤٠٠) ذكر ما حدَّثه به رئيس الأطباء بالقاهرة.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، ص (١٥٤ و١٥٦ و١٥٧ و١٦٢ و٢٦٣).

- أسماء رسول الله ﷺ ومعانيها لابن فارس، ص (٢١٠).

- الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر، ص (٢٣٩ و ٢٤٩ و٢٦٧ و٢٦٨ و٣٨٢).

- أعلام الحديث للخطابي، ص (٢٤١).

- الأوسط لابن المنذر، ص (٣٤ و١٥١).

- البسيط في التفسير للواحدي، ص (١٩).

- تاريخ ابن أبي خيثمة، ص (٦٨ و١٨٦ و٢٠٤ و٢٠٥ و٢٠٧).

- التاريخ الكبير للبخاري، ص (١٧٤ و٣٢٩ و٣٣٠).

تاريخ بغداد، للخطيب، ص (٢٩٨ و٣٠٣ و٣٠٤ و٣١٠).

تاريخ نيسابور، للحاكم ص (٣٢٩).

- تفسير ابن جرير الطبري، ص (٢٧٢ و٢٧٣ و٢٧٤).

- تفسير القرآن العظيم لعبد الرزاق، ص (٢٣٣).

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، ص (٦٣و٦٥ و٦٧ و٧٢ و٧٥ و٨٨ و٩٤ و٩٥ و١١٢ و١١٦ و١١٧ و١٢٤ و١٤٣ و١٤٥ و٢٩٦ و٢٩٧ و٣٠٤ و٣٠٥).

و١٧٢ و١٨٥ و١٩٠ و١٩١ و٢٠٣ و٢٠٥).

- المصنَّف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، ص (٢٦ و٣٠ و٨٥ و١٢٩ و١٤٥ و١٧٤).

- معالم السنن، للخَطَّابي، ص (٢٢٣ و٢٤٢).

- معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ص (٣٩٣ و ٣٩٤ و٤٢٣).

- المعجم الكبير، للطبراني، ص (١٤ و٢١٤ و ٣٣٠).

- معرفة علوم الحديث، للحاكم، ص(٢١).

- المغني لابن قدامة، ص٢٨٤ و٣٨٣ و٣٩٨ و٤١٤ و٤١٩ و٤٢٠).

- منتهى الغاية لأبي البركات ابن تيمية= شرح الهداية.

- نهاية المطلب لإمام الحرمين الجويني، ص(٢٤٣ و٢٧٨ و٢٧٩).

٥- الطبعات السابقة للكتاب:

طبع الكتاب أكثر من مرة، في مصر وسورية ولبنان والهند وباكستان، وفي بعض الطبعات لا نجد مكانًا للطبع ولا اسم الناشر.

فقد طبع لأول مرة في المطبعة الهندية في بومبي بالهند، سنة ١٣٨٠هـ ١٩٦٢م، بتحقيق الأستاذ عبد الحكيم شرف الدين الهندي، وأعيدت طباعته في لاهور بالباكستان، وتقع هذه الطبعة في (١٩٠) صفحة[١]

---

(١) انظر: ذخائر التراث العربي الإسلامي، لعبد الرحمن عبد الجبار، ص ٢٢١، والتقريب لفقه ابن القيم: ١/ ١٩٢، وابن قيم الجوزية: حياته، آثاره، موارده، ص ٢٣٠. كلاهما للشيخ بكر أبو زيد.

ثم طبع في دمشق بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط - رحمه الله- وصدر عن مكتبة دار البيان سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، ثم أعيد نشره فيها بعناية بشير محمد عيون سنة ١٤٠٧هـ، وصدر عن المكتبة القيمة بالقاهرة، سنة ١٣٩٧هـ.

ونشرته مكتبة المتنبي في القاهرة عام ١٩٨٠م، وطبع بتحقيق عبد الغفار سلمان البنداري في دار الجيل، بيروت سنة ١٩٨٣م، وطبع بتحقيق وتعليق عبد اللطيف آل محمد الفواعير، وصدر عن دار الفكر في عمان بالأردن، ١٩٨٨م. وطبع في مكتبة الإيمان بالمنصورة سنة١٩٩٣م.

و صدر عن دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٤٠٣هـ، وعن دار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٠٩ وطبع فيها للمرة الثانية سنة ١٤١٩هـ، و صدر له طبعة أخرى في الكويت، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد، سنة ١٤١٦هـ.

وصدر أيضًا عن دار المنار بدمشق ١٤١٩هـ، وطبع بتحقيق محمد أبو العباس، بمكتبة القرآن بالقاهرة، وبتحقيق فواز زمرلي بدار الكتاب العربي في بيروت سنة ١٤٢٠هـ، ونشرته دار ابن عفان بتحقيق سليم الهلالي، وطبعته دار ابن حزم في بيروت سنة ١٤٢٤هـ.

وطبع بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط ومصطفى أبو يعقوب، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م، وطبع أيضًا بتحقيق عبد المنعم العاني، وبتحقيق محمد صبحي حلاق، وطبع في مكتبة الدعوة الإسلامية في فيصل آباد بباكستان، بتحقيق محمد رمضان الأثري، بدون تاريخ.

وليس هذا استقراء لكل الطبعات والنشرات، ولكنه ما وصل إليه علمي منها، أو ما اطلعت عليه. وهذه الطبعات متفاوتة في الجودة والإتقان والتحقيق والتخريج، فمنها ما كان على منهج سديد، ومنها ما كان دون ذلك، ومنها ما اعتمد نشره على نسخة خطية مع المقابلة بالمطبوع، ومنها ما كان إعادة تنضيد لإحدى الطبعات وإخفاء معالمها. ولكلّ وجهة هو مولّيها.

٦- أثر الكتاب فيمن جاء بعد ابن القيم:

كان للكتاب أثر في مؤلفات بعض العلماء، فقد نقلوا عنه وأشاروا إلى بعض الترجيحات والآراء. ونجد أمثلة على هذا في «الإقناع في مذهب الإمام أحمد» لشهاب الدين موسى بن أحمد الحجاوي[١]، وفي «كشف المخدرات على أخصر المختصرات» للبعلي[٢]، وفي «كشاف القناع» للبهوتي[٣]، وفي «فيض القدير»

(١) الإقناع: ١/ ٦٧ أحكام الوطء الكامل و٢/ ٥٨ صلاة ركعتين بنية تحية المسجد وسنة المكتوبة و٢/ ٥٦-٥٧ التسمية بعبد المطلب و٢/ ٥٩ حكم العقيقة وكيفية طبخها دون كسر عظامها.

(٢) كشف المخدرات، ص ٧٣ عن أحكام تغييب الحشفة.

(٣) كشاف القناع في مواضع متعددة منها: ١/ ٨٩ (طبع مكة) مبحث يكره إمرار الموسى على من لا قلفة له -في الختان، و١/ ١٦٥ أحكام تغييب الحشفة، و٣/ ٢٠-٢١و٢٦ ذبح العقيقة أفضل من التصدق بثمنها و٣/ ٢٣، ٢٤ الهدي كالأضحية و في منع التسمية بأسماء سور القرآن وفي التسمية بأفلح ويسار، وفي ضمان السراية فيما لو أذن له أن يختنه زمن الحر...

للمناوي[1]، وفي «مطالب أولي النهى» للرحيباني[2]، وفي «شرح الزرقاني على الموطأ»[3]، وفي «الإيضاح والتبيين» للسخاوي[4]، وفي «بغية النسّاك في أحكام السواك» للسفاريني[5]، وفي غيرها من الكتب والمؤلفات مثل: «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» للمرداوي[6]، و«حاشية البجيرمي على المنهج»، و«نيل الأوطار» للشوكاني.

(١) فيض القدير في مواضع كثيرة منها:١/ ٢٠٧ ختان إبراهيم وعمره عند ذلك، و١/ ٢٢٠ تحريم التسمية بسيد ولد آدم و التسمية بأسماء الله الحسنى، و١/ ٢٢٦ عن تعليم الأولاد كلمة التوحيد ليكون أول ما يقرع سمعهم، وهو في «التحفة» ونقله عن «الزاد»، و٢/ ٤٠٧ حول إبراهيم وأن له مرضعًا في الجنة، و٢/ ٥١٨ أسماء النبي باعتبار مسماها واحد، و٢/ ٥٥٣ تضعيف حديث إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم.. و٣/ ٢٤٦ التسمية بأسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٢) مطالب أولي النهى: ١/ ٣٦٢ أحكام تغييب الحشفة، و٦/ ٤٥٧ حكم ما لو اجتمع هدي وأضحية، و٦/ ٤٥٩ التسمية بملك الأملاك..ويتورعون عن قاضي القضاة..وفي مبحث الختان: فإن أذن له أن في زمن حر مفرط....... ما إذا تعذر تضميه.

(٣) شرح الزرقاني: ٣/ ٢٤٨ في حكم الغيل : و الخبر لا ينافيه ..فإنه كالمشورة عليهم..

(٤) انظر: الإيضاح والتبيين، ص ١٦٦-١٦٨.

(٥) انظر: بغية النساك، ص ٦٥.

(٦) انظر: الإنصاف: ٤/ ٤١٤.

٧- أعمال حول الكتاب:

وأما الأعمال التي تناولت الكتاب بالاختصار والتعليق، فقد اختصره تقي الدين يحيى بن محمد بن يوسف بن علي البغدادي السعيدي الشافعي، المعروف بابن الكرماني المتوفى بمصر سنة (٨٣٣) وسماه «المقصود من تحفة المودود لابن قيم الجوزية»[١].

و عليه تعليقات للحافظ أبي تراب عبد التواب بن قمر الدين الملتاني الهندي المتوفى سنة ١٣٦٦هـ [٢]

و للشيخ محمد ناصر الدين الألباني «مختصر تحفة المودود لابن القيم: اختصار وتخريج»[٣]

٨- وصف النسخ المعتمدة في التحقيق:

أشار كارل بروكلمان إلى النسخ الخطية للكتاب، [٤]، فذكر أنه مخطوط في ليبزج٢٣٩، ولاندبرج- بريل ٦٤٠، وقليج علي ٧٧٧، والقاهرة: ثان١، وإضافات ٦٥، و الخالدية في القدس: ٢٧/ ٢٠. و في

---

(١) انظر: هدية العارفين: ٢/ ٢٢١، و إيضاح المكنون: ٢/ ٥٤٧.

(٢) انظر: التقريب لفقه ابن القيم: ١/ ١٩٢، وابن قيم الجوزية: حياته وآثاره وموارده، ص ٢٣٠. فيما نقله عن العدد (٤٦) من مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٣) انظر: ثبت مؤلفات الألباني، محمد بن عبد الله الشمراني: ١/ ٤٨ و٧٦، كما في موقع ملتقى أهل الحديث على الشبكة العالمية.

(٤) انظر كتابه: تاريخ الأدب العربي: القسم السادس، ص ٤٢٣.

«الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط»[1] إشارة إلى نسخ أخرى في دار الكتب بالقاهرة، وفي مكتبة الفاتح بإستانبول، وفي المكتبة الوطنية في باريس، وفي جامعة ليدن بهولندا.

أما النسخ التي تيسر لي الاعتماد عليها في التحقيق فهي أربع نسخ، بعضها مما ذكر في تلك المصادر، وبعضها مما لم يذكر فيها:

النسخة الأولى:

نسخة محفوظة في المكتبة المحمودية بالمدينة النبوية - حرسها الله- وهي نسخة مقابلة ومصححة، كتبت بخط النسخ، سنة ٧٧٠هـ، وكُمِّلت بعض مواضعها بخط مغاير، وأوراقها ٩٠ ورقة، وفي الصفحة ٢٣سطرًا ، مقاس١٥×٢٠ سم، ورقمها في المكتبة ٢٦٦٧ مجموعة ٨٤، وعلى صفحة العنوان: «هذا كتاب تحفة المودود في أحكام المولود، تصنيف الشيخ الإمام العالم العلامة، عمدة الحفّاظ فارس المعاني... [2] محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم جزاه الله جزاء الأبرار ووقاه عذاب النار. آمين».

وعلى النسخة ختم في الصفحة الأولى. وفي آخرها كذلك ختم الوقفية باسم المدرسة المحمودية.

(١) قسم الفقه وأصوله: ٢/ ٤٦١.

(٢) كذا في النسخة ولعل فيه نقصًا.

والنسخة بخط عبد الله بن أحمد بن عبد الله المقدسي الحنبلي، فرغ منها يوم السبت الثالث من شهر جمادى الآخر سنة سبعين وسبعمئة، و لم يذكر فيها مكان النسخ، وعليها تملكات مؤرخة وبعضها مشطوب عليه.

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (أ).

النسخة الثانية:

و هي نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام، وهي نسخة تامة، وتقع في ٩٣ ورقة، وفي كل صفحة ٢٢ سطرًا، مقاس ٢١×١٥سم بخط النسخ، وفي صفحة العنوان: «كتاب تحفة المولود تأليف شمس الدين محمد بن القيم الحنبلي». وعليها أختام ورقمها ٢٣٤. و في آخرها: «تمّ بعونه ولطفه». ويليه ختم الوقفية، وليس عليها تاريخ النسخ ولا مكانه، ولا اسم الناسخ.

وقد رمزت لها بالحرف (ب).

النسخة الثالثة:

وهي نسخة مكتبة مدرسة قليج على ضمن المكتبة السليمانية في إستانبول بتركيا، وتقع في ٩١ ورقة، في الصفحة ٢٣ سطرًا. مكتوبة بخط النسخ، وفي صفحة العنوان: «كتاب تحفة المودود بأحكام المولود، تأليف شيخ الإسلام قدوة الأنام شمس الدين أبو الزهر (كذا)

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدين، عرف بابن قيم الجوزية رحمه الله». ويسبق هذه الصفحة ورقة عليها ختم المكتبة ورقم التصنيف، ورقمها ٧٧٧/ ٧٩٧، كما يوجد الختم أيضًا في آخرها، وكتبت عناوين الأبواب والفصول بخط ثخين مميّز، وليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ ومكانه. وختمت بقوله: «والحمد لله رب العالمين، وصلواته على خير خلقه محمَّد خاتم النبيّين، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

و قد رمزت لها بالحرف (ج).

النسخة الرابعة:

وهي نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق الشام، وهي بخط نسخ مقروء، وتقع في ١٣٢ لوحة ، وفي الصفحة ١٥ سطرًا، وفي صفحة العنوان على اليمين تملك الشيخ محمد جميل الشطي في شهر شعبان ١٣٥٢هـ، وفي أعلى صفحة العنوان: «طالع في هذا الكتاب فقير رحمة الله العلي محمد بن الحاج أحمد السفاريني الحنبلي سنة١١٣٨». كما يوجد تحت العنوان سبب تصنيف الكتاب، كما تقدم فيما سبق، وهي نسخة مقروءة ومضبوطة في كثير من المواضع، وفيها تصحيحات في الحواشي، ولكنها ناقصة بضع كلمات أو فقرات أحيانًا في مواضع متفرقة. وفي آخرها: «فرغ من نسخه كاتبه العبد الفقير المعترف بالزلل والتقصير الراجي عفو ربه الغني عبد الله بن علي بن أيدغدي الحنبلي. غفر الله له، في الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظَّم قدْره، سنة

سبع و ثمانمئة. والحمد لله وحده، وحسبنا الله ونعم الوكيل». ثم كتب من طالعه وقرأه: «الحمد لله وحده، بلغ مطالعة من أوله إلى آخره فقير عفو ربه العلي عبد القادر الحنبلي عامله الله بلطفه الخفي والجلي بتاريخ شهر شوال المبارك سنة إحدى وتسعين وثماني مئة. أحسن الله تقضيه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم».

وقد رمزت لها بالحرف (د).

٩- منهج التحقيق وطريقته:

أما المنهج الذي سلكته في هذه النشرة الجديدة للكتاب؛ فإنه يقوم على أصول وقواعد اتفق عليها علماء التحقيق ونشر التراث. وخلاصة ذلك: أن يبذل المحقق عناية خاصة بالمخطوط لتقديمه إلى القارئ صحيحًا دقيقًا، كما وضعه مؤلفه أو في أقرب صورة مما وضعه عليه.

• وتكاد كلمة المحققين تُجمع على أنّ الجهود التي تُبذل في كل مخطوط يجب أن تتناول تحقيق عنوان الكتاب، وتحقيق نسبته إلى مؤلفه، ثم تحقيق متن الكتاب ونصّه. وبذلك يفارق التحقيق الشرحَ والتعليق، الذي ينبغي أن يكون على قدر الحاجة، دون الإفاضة والتوسع فيه، ودون الإفراط في التخريج، لأن لكل هذا مجالاً غير مجال التحقيق، وإن كان هذا الأمر قد أفرط فيه بعض المحققين وفرّط فيه آخرون.

• ولذلك انصرفت العناية إلى مقابلة النسخ الخطية للكتاب،

وإثبات ما يراه المحقق صوابًا في المتن، ثم الإشارة إلى العبارات الأخرى المخالفة في الحواشي، وقد يخالف اجتهاد بعض القراء ذلك، وأظن الأمر يسيرًا في هذه الناحية، واتبعت في ذلك طريقة النص المختار، إذ ليس بين النسخ الخطية التي حصلت عليها ما يصلح لاعتماده نسخة أصلية نعتبرها أمًّا نقابل عليها سائر النسخ الأخرى.

• ثم كان من المناسب ضبط كثير من الكلمات والنصوص، وفي ذلك تيسير على بعض القراء، وتقريب للكتاب إلى بعضهم. أما الشروح والتعليقات، فقد كانت يسيرة في بعض المواضع للحاجة إلى ذلك، دون إسراف أو تكثير للصفحات.

• ومن المهم في التحقيق: تخريج الأحاديث الشريفة والآثار تخريجًا إجماليًّا، مع الاقتصار على الصحيحين أو أحدهما إذا كان الحديث فيهما أو في أحدهما، وما لم يكن في الصحيح فإنه ينقل حكم الأئمة على الحديث من حيث القبول أو الرَّد، لئلا يتحول التحقيق إلى دراسة الأسانيد والإسراف في التخريج.

• ومن المناسب الإشارة هنا إلى أن بعض المصادر أشرت فيها إلى طبعتين، كالمسند للإمام أحمد، حيث كان العزو أولاً للطبعة المصورة عن الميمنية، وهي في ست مجلدات، ثم إلى طبعة مؤسسة الرسالة بتحقيق وإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، وبهذا يمكن لمن أراد التوسع في التخريج والحكم على الحديث أن يجد ضالته فيه، وكذلك بالنسبة لمصنف ابن أبي شيبة، جاء العزو للطبعة الهندية

بتحقيق عامر الأعظمي، ثم الطبعة الجديدة في دار القبلة بجدة بتحقيق الشيخ محمد عوامة.

• ومن الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى أن العزو لبعض الأئمة في التخريج ينصرف عند الإطلاق إلى المشهور من كتبهم في ذلك؛ فالعزو للبيهقي يعني «السنن» ولعبد الرزاق يعني «المصنف»، وللطبري يعني «التفسير» و هكذا.. عند الإطلاق، وإلا فهو للكتاب المسمّى.

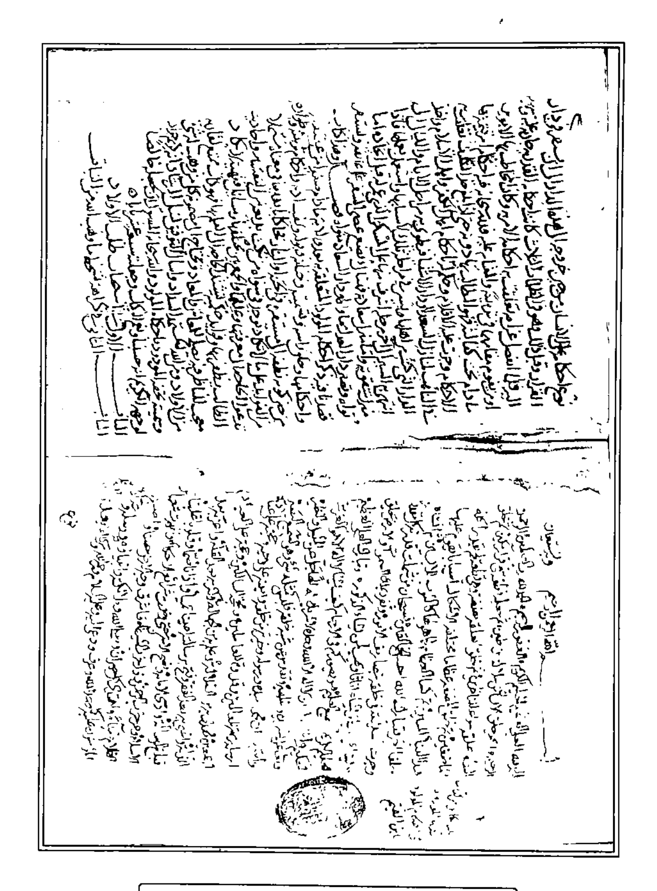
• وأما النصوص التي نقلها المصنف-رحمه الله- فقد أعيدت إلى مصادرها، ما عدا جملة قليلة منها تعذّر الرجوع إلى مصدرها لعدم توفره، أو لأنه في عداد المفقود.

• و مما يتصل بهذا الجانب، كان من المناسب ربط كلام المصنف في كتابه هذا بما كتبه في مواضع أخرى من كتبه التي أشرت إليها فيما سبق، و في هذا فائدة للقارئ وتوثيق للكتاب.

• وكذلك انصرفت العناية من الناحية الشكلية إلى طريقة توزيع النص وحُسن تنسيقه، والاهتمام بعلامات الترقيم، وإبراز بعض الأفكار أو رؤوس المسائل بكتابتها بحرف غامق لنستغني بذلك عن إدخال عناوين لها في الكتاب، ولتوجيه النظر إليها بسهولة.

• وأما الفهارس المتنوعة فأصبحت من ضروريات التحقيق العلمي، لتيسير الاستفادة من الكتاب بصورة أوفى. وقد قام بها مشكورًا الشيخ عدنان البخاري.

وليس هذا بأفضل الممكن في هذا العمل، ولكنه جهد المقلّ، استفاد من قراءة الأساتذة المراجعين ودقيق ملاحظاتهم وتصويباتهم التي كان لها أكبر الأثر في تجويد العمل وإتقانه، مما استوجب الشكر لهم والثناء والدعوات. والحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.



الورقة الأولى من نسخة المحمودية بالمدينة النبوية

ودولاموت فهذا اخر احوال هذه النطفة التي مبدا الانسان وما بين هذه

هذه الغاية احوال واطباق قدرها العزيز العليم ينقل الانسان فيها ويركبه

طبقا بعد طبق حتى يصل الى غاية من السعادة او الشقاوة قتل الانسان ما اكفره

من اي شي خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء

انشره كلا لما يقض ما امره فنسال الله العظيم ان يجعلنا من الذين سبقت لهم منا الحسنى

وزيادة ولا يجعلنا من الذين غلبت عليهم الشقاوة فخسروا الدنيا والاخرة انه سميع

الدعا وهو حسبنا ونعم الوكيل امين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

دائما الى يوم الدين وفرغ من نسخه يوم السبت الثالث من شهر جمادى الاخرة سنة [illegible]

[illegible] وهو الحقير [illegible] عبد الله احمد بن عبد المعطي [illegible] عفا الله عنهم [illegible]

وغفر لمن دعا لصاحبه بالمغفرة ولمن قرأ فيه ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم في اليوم الثاني عشر من شهر شعبان سنة ١١٧٤ اربع

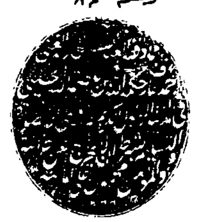
[illegible]

الورقة الأخيرة من نسخة المحمودية



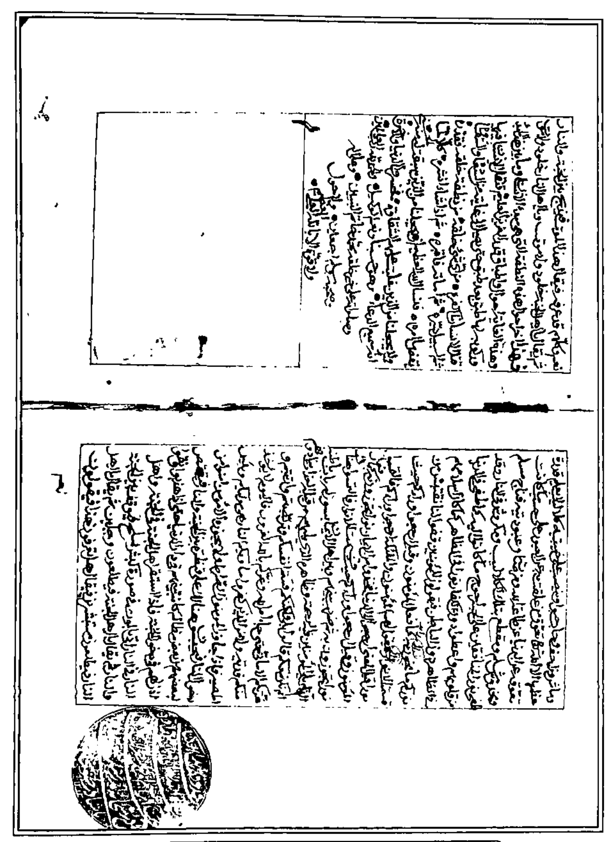
الورقة الأولى من نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة النبوية

ولأهل النار خلود ولا موت فهذا آخر أحوال هذه النطفة التي
هي مبدأ الإنسان وما بين هذه المبدأ وهذه الخاتمة أطوار وأطباق
قدرها العزيز العليم ينتقل الإنسان فيها وركوبه لها طبقا بعد طبق
حتى يصل الغاية من السعادة والشقاوة قتل الإنسان ما أكفره
من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته
فأقبره ثم إذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره فنسأل الله العظيم أن يجعلنا
من الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا يجعلنا من الذين غلبت عليهم الشقوة
في الدنيا والآخرة إنه سميع الدعاء وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا إلى يوم الدين تم بعون الله
ولطفه ع ٨

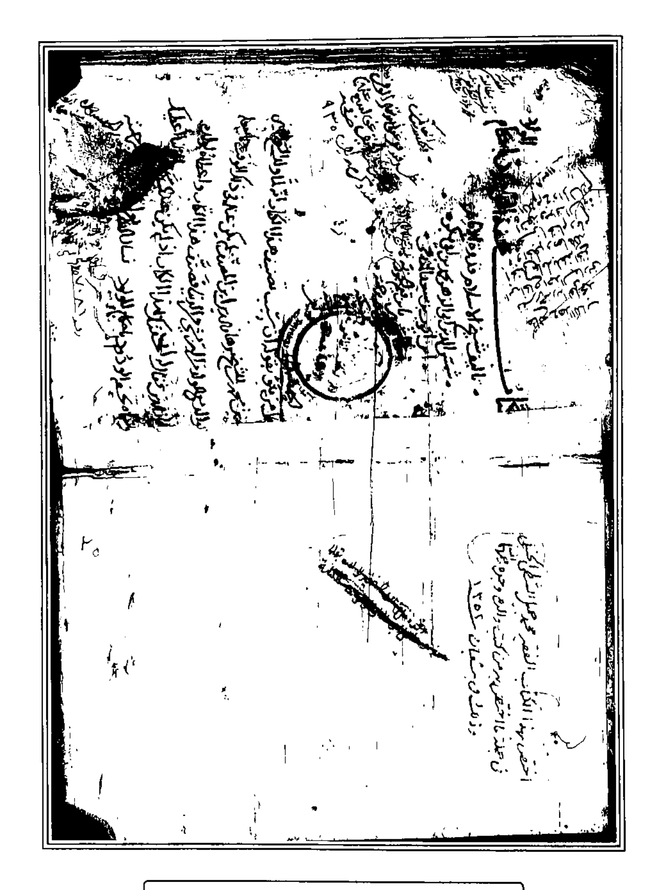


الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة عارف حكمت

الورقة الأولى من نسخة مكتبة مدرسة قليج علي
بالمكتبة السليمانية ـ تركيا

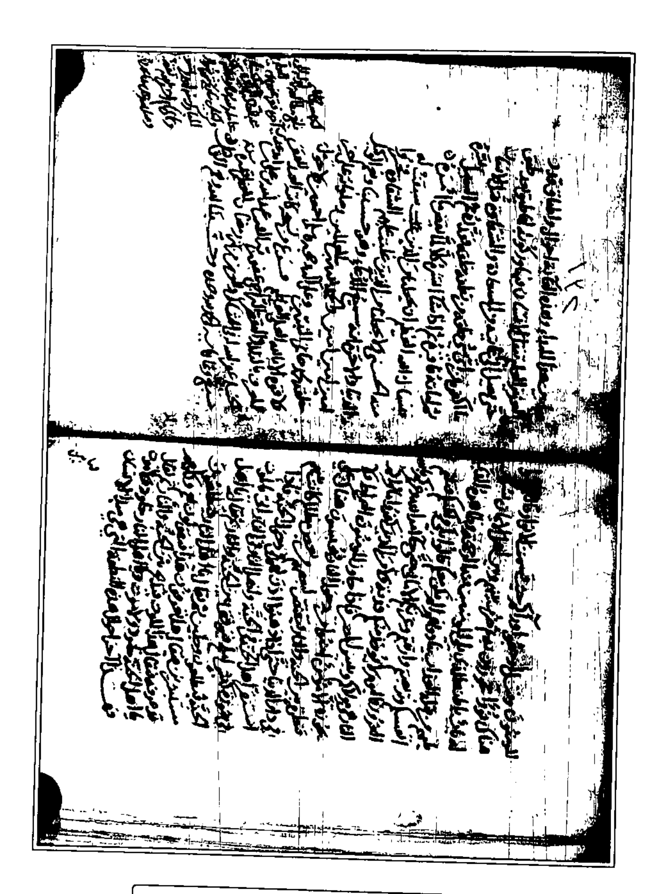


الورقة الأخيرة من نسخة مكتبة مدرسة قليج علي ـ
المكتبة السليمانية ـ تركيا



ورقة عنوان نسخة المكتبة الظاهرية

الورقة الأولى من نسخة الظاهرية



الورقة الأخيرة من نسخة الظاهرية